

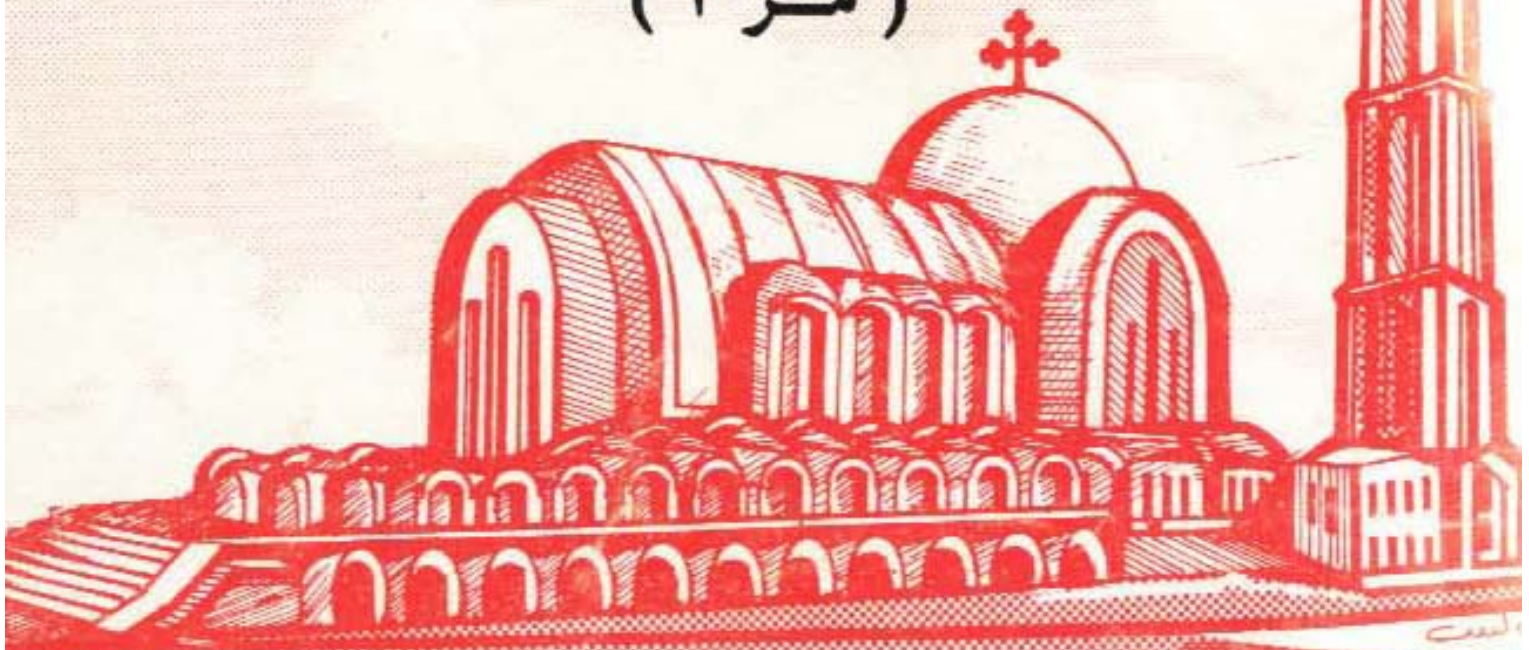


البابا شنودة الثالث

مأطات
في علم اللاهوت المسيحي

يارب لماذا..؟

(مز ٣)



يارب لماذا .. ؟

Lord , How ?

المزمور الثالث [صلاة باكر]

Contemplations on Psalm III

by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print

Aug. 1986

Cairo

الطبعة الأولى

أغسطس ١٩٨٦

القاهرة

- الكتاب : يارب لماذا ؟ (مز ٣) .
المؤلف : قداسة البابا شنودة الثالث .
الطبعة : الأولى : أغسطس ١٩٨٦ م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوقست) العباسية - القاهرة .
رقم الايداع بدار الكتب : ٤٧٩٧ / ١٩٨٦ م .



قُدَامَةُ الْبَابَا شَنُودَه الثَّالِث

تصدير

أعطاني الرب فرصة للتأمل في المزامير ضمن محاضراتي العامة ،
في أواخر سنة ١٩٦٨ وخلال سنة ١٩٦٩ ، وفي أحيان أخرى .

وهذا المزمور « يارب لماذا كثر الذين يحزنونني » القيته
يوم الجمعة ١٨ / ١٠ / ١٩٦٨ في الكنيسة المرقسية
بالأزبكية . وهو من مزامير صلاة باكر .

وكنت قد إخترت بعض المزامير السهلة في حفظها لتكون
موضوعاً للتأمل قبل المحاضرة العامة .

وأرجو أن أنشر لك أيها القارئ المحبوب هذه التأملات في
كتب صغيرة . وقد نشرت لك من قبل تأملات في مزمور
« يستجيب لك الرب » (مز ١٩ [٢٠]) أول مزامير الساعة
الثالثة . كما نشرت لك من قبل تأملات في ثلاثة مزامير من صلاة
الغروب . لعل الرب يعيننا في تكملة هذه المجموعة كلها ...

ولتذكرني معك في صلواتك .

البابا شنوده الثالث

المزمور الثالث

يا رب لماذا كثر الذين يحزنونني؟

يا رب لماذا كثر الذين يحزنونني

كثيرون قاموا عليّ

كثيرون يقولون لنفسي : ليس له خلاص بإلهه (سلاه)

وأنت يا رب هوناصري . مجدى ورافع رأسى .

بصوتى إلى الرب صرخت ، فاستجاب لى من جبل

قدسه (سلاه) .

أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت ، لأن الرب ناصرى

لا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى القائمى علىّ .

قم يا رب خلصنى يا إلهى ، لأنك ضربت كل من

يعاديننى باطلاً . أسنان الخطاة سحقتهما .

للرب الخلاص ، وعلى شعبه بركته . هلولوا .

مقدمة

هذا المزمور هو مزمور عتاب مع الله ، كما في قوله : « يارب لماذا؟ » . وهو مزمور شكوى ، كما في قوله : « كثر الذين يحزنونني . كثيرون يقولون لنفسي : ليس له خلاص بإلهه » . وهو أيضاً مزمور إستغاثة كقوله : « قم يارب خلصني يا إلهي » . وهو كذلك مزمور إيمان حيث يقول : « لا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بي » . وهو يتحدث في صلواته عن خبراته الروحية فيقول : « بصوتي إلى الرب صرخت ، فاستجاب لي من جبل قدسه » . والمزمور أيضاً فيه ثقة واتكال على الله ، إذ يقول : « للرب الخلاص وعلى شعبه بركته » . ويسترجع مع الرب ذكرياته فيقول : « ضربت كل من يعادينني باطلاً . أسنان الخطاة سحقتها » . ومع أنه يبدأ بالشكوى والعتاب والاستغاثة إلا أنه ينتهي بالتهليل (هلوليا) إذ يتذكر أعمال الله معه .

ويصلح هذا المزمور لكل مَنْ هو في ضيقة من أعدائه ،
ولكل مَنْ هو مضغوط من حروبه الروحية .

وهو أيضاً نبوءة عن السيد المسيح في آلامه وموته وقيامته ...

وستتناوله الآن آية آية في تطبيقه الروحي على النفس

البشرية . إنه يبدأ فيقول :

• يارب لماذا؟! •

إنه عتاب مع الله ... لماذا يارب ؟ لماذا يحدث لي كل
هذا؟! كيف يحدث هذا ، وأنت موجود؟!!

كثير من الناس إن قلت لهم لماذا يحدث لي منكم هذا؟
يغضبون ويتضايقون . ولكن الله نقول له لماذا؟ فيتسع صدره لكل
ما نقول ...

داود النبي ، كثر الذين يحزنونه ، فلم يعاتبهم . وإنما
عاتب الله نفسه ...

لماذا يارب أجد هذا الحزن ؟ لماذا كثر الذين يحزنونني ؟ أليسوا

جميعهم في قبضة يديك؟ ألسنت أنت ضابط الكل؟ لماذا تسمح
بكل هذا، وأنا في رعايتك وفي حمايتك؟!

عتاب داود مع الله:

ما أكثر عتاب داود مع الله .. ! لعلها إحدى الميزات التي
تتميز بها المزامير...

١ - انظروا مثلاً الدالة التي يتكلم بها في المزمور العاشر،
فيقول للرب معاتباً:

« يارب لماذا تقف بعيداً؟! لماذا تختفي في أزمنة
الضيق؟! » (مز ١٠: ١).

ربما لو قلنا هذه العبارة لأحد أصدقائنا من البشر، لا
يحملها..! ولكن الله يقبل هذا الكلام... وعنده داود عنده الجرأة
أن يقول: « يارب لماذا..؟! ».

ويكمل داود عتابه فيقول: « في كبرياء الشرير، يحترق
المسكين... والخطاف يجدف، يهين الرب... كل أفكاره أنه لا

إله» . ويتابع داود عتابه فيقول : «قم يارب يا الله ارفع يدك . لا تنس المساكين...» ... لماذا يارب تختفى وقت الضيق ؟ قم . اعمل خلص رعبتك . لماذا يقولون لا إله ! أو لماذا يقولون : « ليس له خلاص بإلهه » ..؟! « تأوه الودعاء . قد سمعت يارب » (مز ١٠: ١٧) .

إنه إنسان يكلم الله بصراحة ، ويعاتبه ..

لماذا نبحت عنك في وقت الضيق ، فلا نجدك؟! وكأنك تقف بعيداً ، وكأننا لسنا من أولادك؟ والله يقبل كل هذا الكلام ... على الرغم من أنه يعمل ، ولكننا نحن الذين لا نبصر عمله ...

٢ - ويعود داود ليقول : « يارب لماذا ؟ » في (المزمور ٤٤) ، حيث يصف متاعبه ، ويعاتب الرب قائلاً : «... قد رفضتنا وأخجلتنا...» إلى أن يقول للرب في نفس المزمور (مز ٤٤: ١٢) :

« بعث شعبك بغير مال ، وما ربحت بثمنهم » .

« اليوم كله خجلى أمامي ، وخزى وجهي قد غطاني ، ومن صوت المعير والشاتم ، من وجه عدو ومنتقم » . ويختتم داود عتابه بقوله :

« استيقظ . لماذا يارب تتغافى ؟ إنتبه ... لماذا تحجب وجهك وتنسى مدلتنا وضيقتنا ... » (مز ٤٤ : ٢٣ ، ٢٤) .

إن داود يفتح قلبه لله ، ويشرح مشاعره كما هي . لا يتصنع كلاماً ...

إن شكر يشكر من عمق قلبه وهو مبتهج . أما إن كان متضايقاً ، فإنه يعاتب .. وفي كل ذلك لا يغضب الله من صراحته ولا من عتابه . بل أن السيد المسيح له المجد يقول عن مزامير داود : قال داود بالروح (مت ٢٢ : ٤٣) .

عتاب داود لله يدل على أمرين : محبة الله وسعة صدره من جهة ، وجرأة داود وصراحته ودالته من جهة أخرى ..

٣ - و يعود داود في (المزمور ٧٤) فيقول للرب : « لماذا ؟ » مرة أخرى « لماذا رفضتنا يا الله إلى الأبد ؟ لماذا يدخن غضبك على غنم مرعاك ؟ ... حتى متى يا الله يعير المقاوم ، ويهين العدو اسمك إلى الغاية ؟ لماذا ترد يدك ويمينك ؟ ! » (مز ٧٤ : ١ ، ١٠) .
ثم يقول :

« لا تسلم للوحش نفس يمامتك » (مز ٧٤ : ١٩) .

ثم يختم عتابه بقوله : « قم يا الله . أقم دعواك . اذكر تعبير الجاهل إياك اليوم كله .. » إنه يعتبر تعبيرات الجاهل تعبيرات لله نفسه . لأنه لو كان الله قد قام وانقذ ، ما كان العدو الجاهل يفعل هذا كله ...

٤ - وفي (المزمور ٧٩) يقول داود للرب معاتباً : « اللهم ان الأمم قد دخلوا ميراثك ، نجسوا هيكل قدسك » (مز ٧٩ : ١) ... « إلى متى يارب تغضب كل الغضب ، وتتقد كالنار غيرتك ... لا تذكر علينا ذنوب الأولين » (مز ٧٩ : ٥ ، ٨) إلى أن يقول للرب :

« لماذا يقول الأمم أين هو إلههم » (مز ٧٩ : ١٠) .

وهنا لا يعاتب الرب فقط على تعديات الأمم وتعبيراتهم ، إنما يعاتبه أيضاً على غضبه ..

لولا أنك يارب غضبت علينا وتركتنا ، ما كان الأمم يفعلون بنا كل هذا ... إذن لماذا يارب تغضب ؟ وإن غضبت ، فلماذا يستمر غضبك ؟ « أعنا يا الله خلاصنا من أجل مجد اسمك ... نحن شعبك وغنم رعايتك » (مز ٧٩ : ٩ ، ١٣) ...

٥ - ونفس العتاب ، ونفس كلمة لماذا ؟ يتكرر في (مزمور

(٨٠) ، وفي (مزمور ٨٨) حيث يقول داود : « يارب الجنود ، إلى متى تدخن على صلاة شعبك ؟ » إلى أن يقول معاتباً :

« قد أطعمتهم خبز الدموع ، وسقيتهم الدموع بالكيل » .

جعلتنا نزاعاً عند جيراننا ، وأعداؤنا يستهزئون » (مز ٨٠ : ٤-٦) . ويختم العتاب في هذا المزمور بقوله : « ارجع . اطلع من السماء ... انر بوجهك علينا فنخلص » .

٦ - ويقول داود معاتباً الرب في (المزمور ٨٨) .

« لماذا يارب ترفض نفسي ؟ لماذا تحجب وجهك عني »

(مز ٨٨ : ١٤) .

وهذا المزمور بالذات مملوء بالعتاب ، حيث يقول للرب :

« على استقر غضبك . وبكل تياراتك أذلتني » (مز ٨٨ : ٧)

« ابعدي عني معافي ... عيني ذابت من الذل . دعوتك يارب كل

يوم . بسطت إليك يدي . أفلعلك للأمم تصنع عجائب ... لماذا

يارب ترفض ... » .

٧ - ما أكثر العتاب في مزامير داود . لسنا نستطيع أن نحصى

في هذا المجال . لكننا نود هنا أن نختم اقتباساتنا من داود بقوله
في (المزمور ٨٩) :

« حتى متى يارب تختبئ كل الأختباء؟! حتى متى
يتقد كالنار غضبك؟ .. أين مراحمك الأولى؟ » (مز ٨٩ :
٤٦ ، ٤٩) .

إنه يذكرنا أيضاً بما قاله في المزمور التسعين : « ارجع يارب .
حتى متى ؟ ... فرحنا كالأيام التي فيها أذللتنا ، كالسنين التي
رأينا فيها شراً » (مز ٩٠ : ١٣ ، ١٥) .

هذا العتاب ، وهذه الصراحة ، وعبارة « يارب لماذا؟ » ...
ليس هذا كله موجوداً في مزامير داود فقط ، إنما نجد هذا الأسلوب
في أسفار أخرى في الكتاب المقدس ، وعند أنبياء وقديسين
كثيرين ...

عتاب قديسين آخرين :

١ - انظروا إلى إرمياء النبي يعاتب الرب ، ويقول له أيضاً :
لماذا ... وذلك في قوله : « أبر أنت يارب من أن أخاصمك . ولكني

أكلمك من جهة أحكامك : لماذا تنجح طريق الأشرار. أطمأن كل الغادرين غدرًا» (إر ١٢ : ١).

إني أعجب من التراب والرماد ، حينما يناقش الله في أحكامه ، ويقول له لماذا؟! حقاً إن القديس بولس الرسول يقول : «بالعمق غنى الله وحكمته وعلمه . ما أبعد أحكامه عن الفحص ، وطرقه عن الاستقصاء . لأنه من عرف فكر الرب ، أو من صار له مشيراً؟!» (رو ١١ : ٣٣ ، ٣٤).

ولكن إرمياء النبي يقول هنا للرب : أكلمك من جهة أحكامك : لماذا..؟

إنه شيء يارب لم أستطع أن أفهمه . شيء غريب أنك تترك الأشرار هكذا ينجحون «غرسهم فأصلوا . نموا وأثمروا ثمراً» «حتى متى تنوح الأرض ، ويبس عشب كل الحقل من شر الساكنين فيها؟!» (إر ١٢ : ٢ ، ٤).

لماذا يارب يحدث هذا ؟ لماذا ينجح الأشرار ؟ أين عدلك ؟ أين محبتك للصالح؟!

إعطني حلاً . إعطني تفسيراً . إشرح لي أحكامك . « فهمنى
حقوقك . عرفنى طرقك . إكشف عن عينى فأرى ... »
(مز ١١٩) . أريد أن أفهم ، على قدر ما يستطيع عقلى أن يفهم ،
لماذا تنجح طريق الأشرار..!؟

والرب يقبل هذا العتاب فى هدوء . ويشرحه فى موضع آخر:
الأشرار كالمدخان الذى يرتفع إلى فوق ، وفيما يرتفع يضمحل
ويتبدد ، وتنظر إليه فلا تجده : « بعد قليل لا يكون الشرير . تتطلع
إلى مكانه فلا يكون ... لأن الأشرار يهلكون ... فنوا ، كالمدخان
فنوا » (مز ٣٧ : ١٠ ، ٢٠) .

الله غير المحدود ، غير المدرك ، يفتح صدره ، ويتفاهم
مع أولاده ، حينما يقولون : لماذا؟

٢ - نفس عبارة لماذا ، قالتها عذراء النشيد :

إنها تعاتب الرب الذى تحبه بقولها : « اخبرنى يا مَنْ تحبه
نفسى أين ترعى ... لماذا أنا أكون كمنقعة عند قطعان أصحابك »
(نش ١ : ٧) . والرب لا يتضايق من عتابها ، بل يقول لها : « إن
لم تعرفى ... فاخرجى على آثار الغنم » ... تتبعى خطوات
القديسين ...

٣ - مثال آخر ، مفتوح القلب جداً في العتاب مع الله ،
ذلك هو أيوب الصديق ...

إنه يعاتب الرب في جرأة عجيبة ، ويستخدم أيضاً عبارة
« لماذا؟ » فيقول له : « أشكو بمرارة نفسي . أبحر أنا أم تنين ،
حتى جعلت عليّ حارساً؟ » « كف عني .. » (أى ٧ : ١١ ،
١٢ ، ١٦) أى إنسان منا ، لو قال عبارة « كف عني » لصديق
له ، ربما ما كان يحتملها منه . ولكن أيوب يقوفاً لله نفسه ، ويتابع
عتابه قائلاً : « حتى متى لا تلتفت عني ولا ترخيني ، ريشما أبلع
ريقى » (أى ٧ : ١٩) . ثم يقول بعدها :

« أأخطأت ؟ ماذا أفعل لك يا رقيب الناس ؟ » .

« لماذا جعلتني عاثوراً لنفسك ، حتى أكون على نفسي حملاً ؟
ولماذا لا تغفر ذنبي ولا تزيل إثمي ؟ » (أى ٧ : ٢٠ ، ٢١) .

من يستطيع أن يقول كلاماً مثل هذا لأحد من الناس ؟!
ولكن أيوب في عتابه مع الله يقول له أكثر من هذا بكثير . إنه يقول
له : « لا تستدبني . فهمني لماذا تخاصمني ؟ »
(أى ١٠ : ٢) .

« أخاف من كل أوجاعي ، عالماً أنك لا تبرئني . أنا
مستذنب ، فلماذا أتعب عبثاً . ولو اغتسلت بالثلج ، ونظفت يدي
بالأشنان ، فإنك فى النقع تغمسنى ، حتى تكرهنى ثيابى »
(أى ٩ : ٢٨-٣٠) .

أتظنون أن الله غضب من هذا العتاب ؟ كلا .

بل أن الله فى آخر السفر ، حينما وبخ أصحاب أيوب الثلاثة
الذين كانوا يثيرون نفسه المرة بالاتهامات الباطلة ، قال لهم :
« ... لم تقولوا فى الصواب كعبدى أيوب » (أى ٤٢ : ٧) .

الله يحب العتاب :

صدقونى لو لم تكن فى هذا المزمور الثالث سوى عبارة
« يارب لماذا ؟ » لكانت كافية ، كعبارة معزية لنا ، تعلمنا
العتاب مع الله ...

انظروا كيف أن أيوب الصديق يقول لله : « أبعد يدك
عنى ، ولا تدع هيبتك ترعبنى ... أتكلم فتجاوبنى ... اعلمنى
ذنبي وخطيتى . لماذا تحجب وجهك ، وتحسبنى عدواً لك ؟ أترعب

ورقة مندفة ، وتطارد قشاً يابساً؟! « (أى ١٣ : ٢١-٢٥) .

والهنا الطيب لا يتضايق من عتاب أيوب .

ولا يعتبر المناقشة معه إقلاقاً لكرامته . كلا ، بل ان الله يحب أن نتكلم معه ونناقشه ، ويفرح بهذا ويسرّ، لأن هذا العتاب دليل المحبة والدالة .

وأحياناً يفتح الله عجلاً للعتاب معه :

مثلاً فعل مع أبينا إبراهيم ، حينما فتح معه موضوع إهلاك سادوم ، وقال له إبراهيم : « أفتهلك البار مع الأثيم؟! ... حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر ... حاشا لك . أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! » (تك ١٨ : ٢٣-٢٥) .

وفعل هذا أيضاً مع موسى النبي ، حينما غضب الرب على الشعب لعبادتهم العجل الذهبى فقرر إهلاكهم . وكلم موسى فى الأمر فعاتبه موسى بنفس العبارة : « يارب لماذا؟! » وقال له : « لماذا يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من مصر بقوة عظيمة ؟ ... لماذا يتكلم المصريون قائلين : أخرجهم بخبث ليقتلهم

في الجبال ... ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك»
(خر ٣٢ : ١١ ، ١٢).

القديسون يناقشون الله . ولكن هوذا أمر آخر :

الله يدعو إلى هذا النقاش ويقول : هلّم نتحاجج - يقول
الرب - إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ...»
(إش ١ : ١٨).

إن الذين يهربون من وجه الله خائفين ، واضح أنه ليس فيهم
الحب ولا الدالة . لقد هرب آدم من وجه الله واختبأ خائفاً ،
ولكن الله دعاه ليسأله ويكلمه . وهرب يونان من وجه الله ،
ولكن الله دعاه وكلمه وعاتبه . وشرح له الأمر وأقنعه (يون ٤) .

لا مانع إذن من أن تقول لله « يارب لماذا ؟ » مثلما قال
داود في المزمور الثالث .

مناسبة هذا المزمور:

في الحقيقة يا إخوتي إن داود النبي ، حينما قال هذا المزمور كان يجتاز مأساة نفسية وعائلية ، بل أيضاً تجربة تهدد ملكه ، وربما تهدد حياته أيضاً...

قاله وهو هارب من ابنه أبشالوم ، الذي تمرد عليه ، وأراد الإستيلاء على المملكة..

والكتاب يشرح هذه القصة في عبارات مؤثرة قال فيها الوحي الإلهي : « وأما داود فصعد في مصعد جبل الزيتون . كان يصعد باكياً ، ورأسه مغطى ، ويمشي حافياً . وجميع الشعب الذين معه ، غطوا كل واحد رأسه ، وكانوا يصعدون وهم يبكون » (٢ صم ١٥ : ٣٠) .

وأخبروا داود أن مستشاره أختيفل قد اشترك في الفتنة مع أبشالوم ، بكل ما له من دهاء ومن معرفة بأسلوب داود . كذلك شمعى بن جيرا لاقى داود في الطريق ، وكان يشتمه ويرشقه بالحجارة قائلاً له : « اخرج اخرج يا رجل الدماء ورجل

بليعال ...» (٢ صم ١٦ : ٥-٧) .. « وكان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم » (٢ صم ١٥ : ١٢) . ودخل أبشالوم أورشليم هو وكل الشعب الذين معه . وبناء على مشورة أخيتوفل « دخل أبشالوم إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل » (٢ صم ١٦ : ١٥ ، ٢٢) . وهكذا كثر الذين يحزنون داود ، وانقسم عليه كثيرون من شعبه وخانوه . فوقف يرتل ويقول :

• يارب لماذا كثر الذين يحزنونى ؟

« كثر الذين يحزنونى » « كثيرون قاموا على » .

أو كما قال الشاعر ، عند كثرة همومه فى داخله :

لو كان هماً واحداً لاحتملته لكنه همٌّ وثانٍ وثالثٌ

فلماذا يارب كل هذا ؟ ولماذا تترك عبدك لهذا الحزن ، ولكثرة

المحيطين به القائمين عليه ؟

بالذات ، بالنسبة إلى أبشالوم ، لم يخطيء إليه داود فى

شئ ، بل دفعته خيانتة وهو ابن ! فلماذا يارب !؟

كيف أن هؤلاء الناس الذين هتفوا وقت الانتصار على جليات ، ينقلب فيهم كثيرون وينضمون إلى ابن خائن ، وهم يعرفون تماماً أنه خائن لأبيه؟!!

داود توجه بشكواه إلى الله نفسه ، الله القادر على كل شيء ، الذى يستطيع أن يحول الشر إلى خير ، الله الذى نفس أبشالوم فى يده ، وكذلك نفس اخيتوفل ، ونفس شمعى بن جيرا ، ونفوس الشعب كلها .

داود لم تستقطبه الأحزان وتعصره فيتركز فيها ، إنما ترك الأحزان واتجه إلى الله ليصلى .

متاعبه جعلته يقول يارب ... يارب كيف يحدث كل هذا ، وأنت ترى وتسمع؟!!

أنت يارب الذى أشكو لك ، وأنت وحدك الذى تستطيع أن تعزىنى ، وتستطيع أن تقوينى وأن تنقذنى . أنت وحدك . لأن الشكوى لغير الله مذلة كما يقول المثل .. حينما أتكلم معك أجد راحة .. أجد الراحة فى داخلى ، مطمئناً إلى عملى وتدخلك . وأجد الراحة أيضاً فى الخارج نتيجة لعملى من أجلى . أنت الصدر

الحنون الذي أتكىء عليه وأقول له لماذا؟ أو كيف يحدث هذا؟
لو قلت للناس لماذا تحزنونني ، لكانوا يعيرونني بخطاياي
ويشمتون بي ...

فهكذا فعل شمعي بن جيرا ، دون أن أقول له شيئاً ... قال
شامتاً : « اخرج اخرج يا رجل الدماء ... قد ردّ الرب عليك كل
دماء بيت شاوول الذي ملكت عوضاً عنه ... وها أنت واقع بشرك »
(٢ صم ١٦ : ٧ ، ٨) .

ولعل هذه الضيقة التي أمرّ بها ، هي بسبب خطاياي .

الآن أتذكر يارب كيف أنك أرسلت إليّ ناثان النبي ،
ليحمل إليّ رسالة منك تقول : « لماذا إحتقرت كلام الرب لتعمل
الشرّ في عينيه . قد قتلت أوريا الحثي بالسيف ، وأخذت امرأته لك
امرأة ... والآن لا يفارق السيف بيتك ... قريبك يضطجع مع
نسائك في عين هذه الشمس ... قدام جميع إسرائيل » (٢ صم ١٢ :
٩ - ١٢) . أتراك عرفت لماذا كثر الذين يحزنونك ؟

ولكن داود - على الرغم من خطيئته - يتذكر أيضاً قول

ناثان النبي له: «الرب قد نقل عنك خطيئتك. لا تموت»
(٢ صم ١٢: ١٣).

لقد نقلها ووضعها على الحمل الذي يرفع خطايا العالم كله
(يو ١: ٢٩). إن داود يعرف تماماً قلب الله الحنون، الذي هو
نفسه يقول عنه: «لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا
حسب آثامنا. لأنه مثل إرتفاع السموات فوق الأرض، قويت
رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا»
(مز ١٠٣: ١٠-١٢). لذلك فإن داود يقول في مزاميره للرب:

إذكر يا رب رأفاتك ومراحمك، فإنها ثابتة منذ الأزل.
خطايای شبابی وجهالاتی، لا تذكر» (مز ٢٥: ٦).

هل لا تزال تذكر لي يا رب تلك الخطية؟! لقد تفاهمنا بشأنها
، واعتذرت لك عنها، ونقلتها عنى حسب وعدك الصادق الأمين.
وأما أنا فبسببها كنت «أعوم في كل ليلة سريري، و بدموعي أبلّ
فراشي» (مز ٦). فكيف تذكر لي يا رب آثامي؟! «إن كنت
للآثام راصداً يا رب، يا رب مَنْ يثبت؟! لأن من عندك المغفرة»
(مز ١٣٠). «لا تدخل في المحاكمة مع عبدك، فإنه لن يتزكى
قدامك أي حتى» (مز ١٤٣: ٢).

نعم يارب لقد كثر الدين يحزنوننى . ولكن يقيناً أنت
يارب لست منهم . لأنك أنت عزائى وخلصى .

لذلك فإننى فى وسط ضيقاتى ، أمسكت مزمارى ، لأرتل لك
هذا المزمور . حقاً : «أمسرور أحد ، فليرتل» (يع ٥ : ١٣) . أما
أنا فأرتل لك وأنا فى عمق متاعبى . لأن مسرتى فىك .

لست أحسب هذه الضيقات تأديباً منك لى . إنما أحسبها
تقربنى إليك ..

أما خطيئتى فانت قد غفرتها . وإن كنت ترى هذه العقوبات
الأرضية نافعة لى ، فأنا أقبلها بشكر ، ولكن ترفق بفتاك ، كما
قلت أنا أيضاً : «ترفقوا بالفتى أبشالوم» (٢ صم ١٨ : ٥) على
الرغم من خيانتة وكل أخطائه ... لذلك أنا أسأل « كيف كثر
الدين يحزنوننى؟! كثيرون قاموا علىّ » ...

حقاً ، إن كل الضيقات ليست من أجل خطايا .

إن أصحاب أيوب الصديق أخطأوا فى حقه وأثاروه ، إذ اتهموه
بأن تجربته كانت بسبب خطاياها (أى ٤ : ٧ ، ٨) ، فوبخهم الله

على ذلك ، لأنهم لم يقولوا الصواب (أى ٤٢ : ٧) . والرجل المولود أعمى ، لما ظن التلاميذ أن عماه بسبب خطية ، أجابهم الرب قائلاً : « لا هذا أخطأ ولا أبواه ، لكن لتظهر أعمال الله فيه » (يو ٩ : ٣) . والبابا القديس أثناسيوس الرسول تألم كثيراً وهو بار . وكذلك القديس بولس الرسول الذى شرح ما أصابه من آلام فى رسالته الثانية إلى كورنثوس (٢ كو ١١) . والكتاب يقول : « كثيرة هى أحزان الصديقين ، ومن جميعها ينجيهم الرب » (مز ٣٤ : ١٩) . والسيد المسيح وهو قدوس القديسين قيل عنه إنه « رجل أوجاع ومختبر الحزن » (إش ٥٣ : ٣) .

وعلى الرغم من أن بعض متاعب داود كانت بسبب خطيئته ، إلا أن كل متاعبه لم تكن هكذا ...

فقد صادف متاعب كثيرة جداً فى حياته ، من شاول الملك ، وكان داود وقتذاك فى عمق صلته بالرب ، وقد حلّ روح الرب عليه ... وهذه المتاعب الحاضرة ، وإن كان الرب قد أنذره بشيء منها فى (٢ صم ١٢) . إلا أن داود ما كان يظن أن الضيقة ستأتى بهذا العنف ، وأن الذين يجزنونه سيكونون بهذه الكثرة ،

لذلك عاتب الرب قائلاً: «يارب كيف كثر الذين يحزنوننى .
كثيرون قاموا علىّ» ...

كانت الأحزان مع داود فى بره وفى خطيئته .

لم تفارقه أبداً ، منذ صباه . ومزاميره تتحدث عن تفاصيل
منها ، وهنا يرى الأمور قد وصلت إلى خطورة . فيصرخ إلى الرب
قائلاً :

كثيرون قاموا علىّ :

ولعله شرح كلمة (كثيرين) بعبارة «ربوات الجموع
المحيطين بى ، القائمين علىّ» (مز ٣: ٦) . هل إلى هذه الدرجة
يارب ، تسمح أن كل هؤلاء يقومون علىّ؟! أنا أخطأت ؟ لقد
اعترفت بهذا . ولكن قبل تلك الخطية أيضاً قد كثر الذين
يحزنوننى . «مراراً كثيرة حاربونى منذ صباى» (مز ١٢٩: ١) .
بل أستطيع أن أقول : «أكثر من شعر رأسى ، الذين يبغضوننى بلا
سبب» (مز ٦٩: ٤) «أحاطوا بى واكتنفونى . أحاطوا بى مثل

النحل حول الشهد، والتهبوا كنار في شوك» (مز ١١٨ :
١١، ١٢).

إنه عزاء كبير لنا ، أن نبياً عظيماً مثل داود ، تعرض
لمضايقات الكثيرين ...

وعزاء أكبر ، أنه نجا من كل تلك الضيقات . وشعرة واحدة
لم تسقط من رأسه . بل «نجا مثل العصفور من فخ الصيادين»
(مز ١٢٤ : ٧) مبارك الرب الذي لم يسلمه فريسة لأسنانهم ...
حقاً أنه «بضيقات كثيرة ينبغي أن نرث ملكوت الله»
(أع ١٤ : ٢٢).

انظروا كم من ضيقات كثيرة تعرض لها يوسف الصديق !

كثيرون قاموا عليه ، حتى إخوته . القى في بئر، وبيع كعبد .
وقامت ضده امرأة سيده ، ولفقت له تهمة وهو البريء . وقام ضده
فوطيفار، فأخذه ووضعته في بيت السجن (تك ٣٩ : ١٧ ، ٢٠) .
أتراه قال هذه العبارة قبل داود : «يارب كيف كثر الذين
يخزنوننى» .

المؤمن عموماً محاط بأحزان وضيقات ...

لا بد أن يدخل من الباب الضيق ، ويسير في الطريق الكرب ، ويحمل صليبه باستمرار، ويخرج إلى الرب خارج المحلة حاملاً عاره (عب ١٣ : ١٣) . إن الرب لم يخف عنا ، بل قال لنا بوضوح : « في العالم سيكون لكم ضيق » (يو ١٦ : ٣٣) .

ولكن حيثما توجد التجارب ، يوجد الله المنقذ .

توجد المعونة الإلهية التي تعطى عزاء وخلاصاً . إن الكتاب لم يقل فقط : « كثيرة هي أحزان الصديقين » بل قال بعدها مباشرة : « ومن جميعها ينجيهم الرب » . ولم يقل فقط : « في العالم سيكون لكم ضيق » بل قال بعدها : « ولكن ثقوا ، أنا قد غلبت العالم » .

أذكر أنه في فترة ما ، كانت العصافير تشكل خطورة كبيرة على مؤونة الدير ... كانت تأكل المحاصيل بعنف ، وكذلك الفاكهة ... وفيما أنا نازل من الدير ، سألت الآباء : [هل تريدون شيئاً أحضره لكم معي ؟] . فقال أحد الآباء الكبار : « نريد فخاً لكي نصيد به العصفور » فقالت له : [سأحضره لكم . ولكن

العصفور سأعلمه مزمور] فسألني: [أى مزمور ستعلمه للعصفور؟]
فأجبت: [المزمور القائل: «نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ
الصيادين. الفخ إنكسر ونحن نجونا... عوننا من عند الرب الذي
صنع السماء والأرض» (مز ١٢٤)]. نعم، إن الفخاخ موجودة
في طريق المؤمنين. ولكن معونة الرب موجودة أيضاً...

على أن الخطورة التي صادفت داود، لم تكن مجرد أن
كثيرين قاموا عليه...

عبارة «كثر الذين يحزنونني» يمكن إحتمالها. وعبارة
«كثيرون قاموا عليّ» يمكن إحتمالها أيضاً. أما الأمر الذي لا
يُحتمل فيكم في عبارة: «كثيرون يقولون لِنفسي: ليس له
خلاص بإلهه...!».

ليس له خلاص بإلهه:

إن داود يعلم تماماً أن كل متاعبه السابقة، وكل الأخطار
التي حاقت به، كان الله هو الذي خلّصه منها. لقد خلّصه الله
من الأسد والذئب، حينما أخذنا شاة من قطيعه. وكذلك الرب هو

الذى خلصه من جليات . لذلك قال لشاول الملك : « الرب الذى أنقذنى من يد الأسد ومن يد الدب ، هو ينقذنى من يد هذا الفلسطينى » (١ صم ١٧ : ٣٧) .

وعبارة (الخلاص للرب) أو (الحرب للرب) من العبارات المشهورة جداً فى فم داود وفى مزاميره ...

إنه يقول جليات : « الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٧) . ويقول له أيضاً : « أنت تأتى إلىّ بسيف وبرمح وبترس ، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود ... هذا اليوم يجبسك الرب فى يدي ... » (١ صم ١٧ : ٤٥ ، ٤٦) .

وهكذا يقول بالنسبة إلى أعدائه : « أحاطوا بى مثل النحل حول الشهد ، وباسم الرب انتقمتم منهم ... دُفعت لأسقط ، والرب عضدنى . قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً » (مز ١١٨) .

وكما كان الله خلاصاً لداود من الأسد والدب ، ومن جليات ، كذلك كان له خلاصاً من شاول الملك .

كم من مرة أراد شاول أن يقتله ، وكم مرة طارده من برية

إلى برية . وكان الرب هو الذى يخلص داود . ولذلك قال داود
لشاول : « الرب يقضى بينى وبينك » (١ صم ٢٤ : ١٢ ، ١٥) .
ولما وقع شاول فى يد داود ، قال لشاول : « قد دفعك الرب اليوم
ليدى ، ولم أشأ أن أمد يدي إلى مسيح الرب . هوذا كما كانت
نفسك اليوم عظيمة فى عينى ، كذلك فلتعظم نفسى فى عينى
الرب ، فينقذنى من كل ضيق » (١ صم ٢٦ : ٢٣ ، ٢٤) .

**فإن كان الرب ينقذه من كل ضيق ، إذن ما أخطر هذه
الشماتة أنه ليس خلاص بإلهه ..؟!!**

إنهم يخوفونه بهذا الأمر المرعب ، إنه ليس له خلاص بإلهه .
وهذا التخويف لم يصدر من فم إنسان واحد ، بل يشكو داود فى
صلاته صائحاً : « كثيرون يقولون لى : ليس له خلاص
بإلهه ..! » .

**إنه يصارح الرب بما يقوله الناس . ولكنه لا يصدق
إطلاقاً هذا الذى يقولونه ...**

خبراته مع الله المحب ، الله المعين ، المنقذ والمخلص ... وحياة
الإيمان التى يحيها ... ووعود الله له ... كل هذا لا يجعله يصدق

كلام الشماتة الذى يسمعه منهم . ربما يبدو أن الله قد (تأخر)
عليه ، وأن معونته لم تأتِ حتى الآن .. ! ولكنها لا بد آتية ، ولو فى
الهزيع الأخير من الليل ...

الله لن يتركه . مستحيل ... الخلاص آتٍ ، لا شك فى
هذا ... مهما تأخر ...

يقولون لنفسى : « ليس له خلاص بإلهه » .. لأنهم أعداء ،
ولأنهم شامتون بما حدث لى . شامتون بخيانة أبشالوم ، وخيانة
أخيتوفل ، وشتائم شمعى بن جيرا ... شامتون لأنى خرجت من
أورشليم حافياً وباكياً ... ولكنهم يقولون هذا الكلام بالأكثر ،
لأنهم لا يعرفون الله ، ولا يعرفون محبته لى ، ولا علاقته بى ... !

لذلك فإن داود قال بعد هذا : سلاه . وهى إشارة لوقفه

موسيقية ...

أى أنه يقول لفرقة الموسيقين التى تتابعه فى إنشاده . قفوا هنا
لنتأمل هذا الأمر ، وأيضاً نغىّر اللحن . بل نغىّر هذا الذى يقوله
الأعداء والشامتون وقفة هنا . لأنى لا أقبل هذا الكلام .

، إنها أول مرة ترد فيها كلمة (سلاه) فى مزامير داود ...

لم ترد في المزمور الأول ، ولا في المزمور الثاني . وهنا ترد لأول مرة في المزمور الثالث . وقد وردت ٧٤ مرة في مزامير داود . عبارة عن وقفة موسيقية لتغيير اللحن ، وربما لتقديم معنى جديد وفكر جديد ... بل قفوا أيها الموسيقيون ، لأنى بدلاً من الكلام عن الناس ، سأتكلم مع الله . لي حديث معه عما يقوله الناس ...

حقاً يارب أننى أخطأت إليك ، « والشراً قدامك صنعت » (مز ٥٠) . ولكنك لا يمكن أن تتخلى .

إن تخلى عنى الكل ، فأنت لا تتخلى . وإن لم يتقدم أحد لخلاصى ، فهذا أمر لا يتعبنى ، بل ولا يدهشنى . المهم أنك أنت لا تتخلى ، لأن الخلاص هو من عندك . ومهما كنت خاطئاً ، فأنت « لم تصنع معنا حسب خطايانا » . محال أن أصدق أنك تنظر إلىّ فى ضيقتى ولا تبالى ! لأنى أنا عبدك وابن أمتك (مز ١١٥) . ومهما أخطأت: يدك يارب علىّ ، يدك لا عصاك . وحتى إن كان كثيرون قد قاموا علىّ ، وأرادوا لى الموت ، فأنا « إن سرت فى وادى ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك أنت معى » (مز ٢٣) ... « إن يحاربنى جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام علىّ قتال ، ففى هذا أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ٣) .

عبارة : « ليس له خلاص بإلهه » ، هي عبارة تشكيك في معونة الله . إنها من عمل الشيطان ...

هو الشيطان الذى وضع هذا الكذب وهذا الإدعاء فى أفواههم ، لكى يقلل إيمانى بك وبمحببتك ومعونتك ، ولكى يدفعنى إلى اليأس والاستسلام ، ولكى يشكك الناس أيضاً فى مساندة الله لأولاده . أما أنا فلا أياس أبداً من معونتك .

مهما (تأخرت) معونتك ، فأنا مازلت أنتظرك ، فى ثقة وفى إيمان ...

« الرب عونى ، فلا أخشى ماذا يصنع بى الإنسان . الرب لى معين ، وأنا أرى بأعدائى » (مز ١١٨ : ٦ ، ٧) . بهذه الثقة أنا أنتظر الرب ، وانتظر الرب من محرس الصبح إلى الليل (مز ١٣٠) .

حتى إن كان الله يعاقب أحياناً ، فإنه شفوق فى عقابه .

لذلك فأنا « أقع فى يد الله ، ولا أقع فى يد إنسان ، لأن مراحم الله واسعة » (١ أى ٢٠ : ١٣) . الله الذى لا يقصف قصبه مرضوضة ، ولا يُطفئ فتيلة مدخنة (مت ١٢ : ٢٠) . الله الذى

« يجرح ويعصب » (أى ٥ : ١٨) .

عبارة « ليس له خلاص بإلهه » تذكرنى بالكلمات القاسية التى تلفظ بها أصحاب أيوب .

كم كان أشدها أيلاماً لنفس متمرمة ، جرحوا بها إنساناً باراً . ولكن الله بكتهم (أى ٤٢ : ٧) ... وفيما بكتهم « رد الله سبى أيوب » (أى ٤٢ : ١٠) . لأن الله لا يترك أولاده . وهكذا نحن « متحيرين لكن غير يائسين . مضطهدين لكن غير متروكين . مطروحين لكن غير هالكين » (٢ كو ٤ : ٨ ، ٩) . فليقل الناس إذا ما يقولون ... وليستخدموا أسلحة الشماتة والتشكيك .

أما أنا يارب ، فإنى أعرف من أنت :
أنت يارب ناصرى (١) ، مجدى ورافع رأسى .

أنت يارب ناصرى :

وكأنى بالبعض يسمع داود فيتعجب ... ماذا تقول أيها المسكين ؟ « ناصرى ؟! ومجدى ؟! ورافع رأسى ؟! » كيف هذا ؟

(١) فى بعض الترجمات « ترس لى » أى درع لى .

وأنت قد خرجت باكياً وحافياً ، وكل الذين وراءك سيكون معك !! وصديقك حوشاي الأركى لما أتى للقائك ، جاءك ممزق الثوب والتراب على رأسه (٢ صم ١٥ : ٣٢) ! هل في هذا مجد ونصرة ؟! وهوذا شمعى بن جيرا يشتمك ويقول : « اخرج يارجل الدماء ورجل بليعال » وأنت تقول لأصحابك في مذلة : « دعوه يسب ، لأن الرب قال له سب داود ... لعل الرب ينظر إلى مذلتى ... » (٢ صم ١٦ : ٥ - ١٢) . هل تقول بعد كل هذا : « مجدى ورافع رأسى » ؟!

ولكن داود قال عبارته هذه بروح الإيمان ، غير ناظر إلى ما هو فيه ، وإنما إلى معونة الرب الآتية . لم يكن يحيا في الضيق الحاضر ، وإنما في الفرح المقبل ، وفي قلبه « الايقان بأمر لا تُرى » (عب ١١ : ١) .

كان وهو في مرارة ضيقته ، يرى خلاص الرب ماثلاً أمامه ، حتى قبل أن يأتى . إنها فضيلة الرجاء ، التى لا تعرف ضيقاً ولا يأساً . وليس الرجاء فقط ، وإنما أيضاً « الثقة بما يُرجى » (عب ١١ : ١) . يتدرج منها الإنسان المؤمن إلى قول الرسول : « فرحين فى الرجاء » (روم ١٢ : ١٢) .

المتاعب موجودة ، والله أيضاً موجود . الإيمان به وبعمله ،
يغطي على المتاعب ، فلا نراها ، إنما نرى عمل الله ونفرح به ،
ونتغنى به في مزاميرنا .

ونقول في عمق المتاعب : « أنت يارب ناصرى . مجدى ورافع
رأسى » . أنت يارب ضابط الكل . أنت لم تخلق الكون وتركه .
إنما أنت ترعاه . أنت تنظر إلى كل ما يحدث على الأرض ، وتقيم
العدل بين الناس . وكما قال نبيك ملاخى : « والرب أصغى
وسمع ، وكُتِبَ أمامه سفر تذكرة » (ملا ٣ : ١٦) .

أتراك لم تنظر أبشالوم وشمعى وأخيتوفل ؟ كلا بل رأيتهم في
غرورهم وثورتهم وخيانتهم ، ورأيتنى فيما أنا فيه من ظلم ومذلة .
وهذا أنا أسمع صوتك :

« من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين ، الآن أقوم
- يقول الرب - اصنع الخلاص علانية » (مز ١١) .

وداود يحس بهذا تماماً ، فيقول في كثير من المناسبات أن الله
ترس لى ، أى درع لى (مز ٣ : ٣) (٢) درع واقٍ من كل ضربات

(٢) انظر أيضاً مزمور ١٨ : ٣٠ ؛ مز ٧ : ١٠ ؛ مز ٢٨ : ٧ ؛ مز

١١ : ٥٩ ...

الأعداء . ترس أو درع من كل سهام شاول الملك (٢ صم ١٩ :
١٠) بل من « كل سهام الشرير الملتهبة » (أف ٦ : ١٦) . نعم
إنه الله الذى « لا يترك عصا الخطاة تستقر على نصيب
الصديقين ... » (مز ١٢٥ : ٣) .

إنه إله المساكين والضعفاء والعاجزين أمام مَنْ هو أقوى
منهم ...

نقول له فى صلواتنا الطقسية : « يا معين مَنْ ليس له معين ،
ورجاء مَنْ ليس له رجاء ، عزاء صغيرى النفوس ، ميناء الذين فى
العاصف » . ويقول له داود النبى : « جميع عظامى تقول يارب
مَنْ مثلك : المنقذ المسكين مَمَّنْ هو أقوى منه ، والفقير والبائس من
سالبه » (مز ٣٥ : ١٠) .

لذلك بينما يعتمد الأقوياء على أنفسهم ، نجد الضعفاء
يصرخون إلى الله ..

إن داود لم يصرخ إلى الله ، حينما كان شاعراً بقوته وبقدرته
على ضرب نابال الكرملى (١ صم ٢٥ : ١٣ ، ٢٢) . ولكنه صرخ
إلى الله وهو شاعر بعجزه أمام شاول ، وبعجزه أمام أبشالوم ، بسبب

قوتها من جهة . ومن جهة أخرى لأن شاوول هو مسيح الرب ،
وأبشالوم هو ابن داود . لذلك فهو عاجز عن ضربهما لأسباب
نفسية في داخله ، وأيضاً لأنهما لا يباليان بأى تصرف بسبب
إنحدار مستواهما الروحي ... ولهذا فإنه يصرخ إلى الله : يارب
كيف يحدث هذا؟ كيف كثر الذين يحزنوننى؟!

حقاً ، كلما وقف الإنسان ضعيفاً أمام الله ، كلما كان
مستحقاً لمعونته الإلهية .

لأنه من عمل الرب أن يبشر المساكين ، ويعصب منكسرى
القلوب (إش ٦١ : ١) . وكما قال الرب في رعايته لغنمه : « أنا
أرعى غنمى وأربضها ... وأجبر الكسير ، وأعصب الجريح ... »
(خر ٣٤ : ١٥ ، ١٦) . وهنا كان داود في موقف الكسير والجريح .
لم يكن الملك العظيم الجالس على عرشه ، وإنما كان الملك الطريد
الهارب من وجه أعدائه ...

إن القوى عرضة للسقوط أكثر من غيره ، غالباً بسبب
كبريائه واعتزازه بقوته !

لأنه « قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح »

(أم ١٦ : ١٨) . فالأقوياء من فرط غرورهم بقوتهم لا يحترسون ،
فيستقون لقلّة الحرص . ومن ثقتهم بأنفسهم لا يشعرون بحاجتهم
إلى قوة خارجية ، فلا يصلون طالبين معونة . وإذ يبعدون أنفسهم
عن عمل النعمة يسقطون . ولذلك قيل عن الخطية إنها : « طرحت
كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) .

وكان داود يصلى لينقذه الرب من الأقوياء .

كان يقول : « اللهم باسمك خلصنى ... فإن الغرباء قد قاموا
علّى ، والأقوياء (٣) طلبوا نفسى . لم يجعلوا الله أمامهم »
(مز ٥٤ : ١ ، ٣) . وهكذا كان كل الأقوياء الذين قاموا ضد
داود : الأسد والذب ، وجليات ، وشاول ، وأبشالوم . وكلهم « لم
يجعلوا الله أمامهم » . واختبر داود كيف أن الله نصره ضد كل
هؤلاء . فقال له هنا : « أنت ناصرى . مجدى ورافع رأسى » أنت
كنت درعاً وترساً لى ، أصد به كل سهام أعدائى ... وهكذا لم
يمت شاول بيد داود ، ولا مات أبشالوم بيد داود ، لأن الحرب
للرب . الرب هو انذى خلّصه منهما ...

(٣) فى ترجمة أخرى « العتاة » . وفى ترجمة أخرى Ruthless أى عديمو
الشفقة الذين لا يرحمون ولا يشفقون .

حقاً ، كما قال موسى النبي : « لا تخافوا قفوا وانظروا
خلاص الرب ... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون » (خر ١٤ :
١٣ ، ١٤) . وبالنسبة إلى داود ، لم يكن الرب فقط ترساً له ،
درعاً يصد الهجمات ، إنما يقول عنه بالأكثر : « بجدي ورافع
رأسي » ...

مجددي ورافع رأسي .

هوذا الرب يقول عنه في المزمور : « لأنه تعلق بي أنجيه .
أرفعه لأنه عرف اسمي ... معه أنا في الضيق : أنقذه وأمجده »
(مز ٩١ : ١٤ ، ١٥) . لم يقل فقط : « أنجيه » ، إنا قال بعدها
أيضاً : « أرفعه » . ولم يقل فقط : « أنقذه من الضيق » ، وإنما
قال أكثر من هذا : « وأمجده » . وهذا هو الذي حدث مع داود .

أنقذه الرب من جليات الجبار . وأيضاً مجده الله في هذه
المناسبة ورفع رأسه .

فخرجت النساء تغنين بالدفوف والفرح والرقص قائلات :
« ضرب شاوول أوفه ، وداود ربواته » (١ صم ١٨ : ٦ ، ٧) .

وتعين داود رئيساً على رجال الحرب ، ونال محبة جميع الشعب ،
وألبسه الأمير يوناثان ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته . وبعد هذا أمكن
أن يتزوج داود ميكال ابنة الملك ، وأعانه الله في إنتصارات أخرى
(١ صم ١٩) بل قيل عنه أيضاً : « كان داود يفلح أكثر من جميع
عبيد شاول ، فتوقر اسمه جداً » (١ صم ١٩ : ٣٥) .

كذلك لم ينقذه الرب فقط من شاول الملك ، إنما مجده
بعدها ورفع رأسه .

مات شاول الملك الذى كان يطلب نفسه . وهكذا تخلص
داود من كل محاولات شاول لقتله . وبموت شاول رفع الله داود إلى
كرسى الملك ، فأتوا ومسحوه ملكاً على بيت يهوذا (٢ صم ٢ : ٤)
« وكان داود يذهب يتقوى ، وبيت شاول يذهب يضعف »
(٢ صم ٣ : ١) . وخلصه الرب من أبير قائد جيش شاول ، فمات
(٢ صم ٣ : ٣٠) « وجاء جميع أسباط إسرائيل إلى داود إلى
حبرون ، وتكلموا قائلين ههنا نحن عظمتك ولحمك ... ومسحوا داود
ملكاً على إسرائيل » (٢ صم ٥ : ١ ، ٣) . واستقر له الأمر كملك
على الشعب كله ... ورفع الله رأسه .

تذكر داود كل هذا ، عند قيام أبشالوم ضده . ونال
عزاء داخلياً من ذكرياته فقال :

**بصوتى إلى الرب صرخت ،
فاستجاب لي من جبل قدسه :**

لا شك أن القلب يتعزى ، وإيمانه يتقوى ، كلما يذكر
إحسانات الله السابقة إليه ، وكلما يذكر صلواته التي استجابها الله
من قبل ... هذه الذكريات تشعر الإنسان بمحبة الله وعمله ، فيقول
لنفسه : إن الذى استجاب فى القديم ، هو أيضاً يستجيب الآن
وكل أوان . وهكذا نحن نقول فى القداس الإلهى :

« يا لذي بارك فى ذلك الزمان ، الآن أيضاً بارك » ...

خلاص الرب لداود ، كان هو قصة حياته كلها . كلما تذكر
تفاصيل حياته ، يذكر خلاص الرب . ولهذا نجد فى الكتاب عبارة
معزية جداً ، يقول فيها الوحي الإلهى : « وكان الرب يخلص داود
حيثما توجه » (٢ صم ٨ : ٦) .

هذا الخلاص لم يستطع داود أن ينسأه في وسط ضيقاته .
بل هذا الخلاص لا تنسأه الكنيسة كلها ...

التاريخ طويل ، حافل بالذكريات المحببة للنفس . إن الذى أنقذ من نيرون ، هو الذى أنقذ أيضاً من ديوقلديانوس ومن أريانوس والى أنصنا ، ومن كثيرين بعدهم . وكل آلة صوّرت ضد أولاد الله لم تنجح (إش ٥٤ : ١٧) . بهذه الذكريات يتعزى القلب الصارخ إلى الله ، مهما كانت الصعوبات الواقعة أمامه . يتذكر قول الرب عن زربابل ، عند إعادة بناء الهيكل :

« مَنْ أَنْتِ أَيُّهَا الْجِبَلُ الْعَظِيمُ ؟! أَمَامَ زَرْبَابِلَ تَضِيرُ سَهْلاً » (زك ٤ : ٧) .

كثيراً ما صرخ داود إلى الله فاستجاب له . ولم ينس هذه الاستجابة ، بل تذكرها ليتعزى بها ... إنه لم يعيش حياة سهلة ، وإنما سار في طريق محفوف بالضيق والمتاعب ، وقد نجاه الرب بصلوات مستجابة ، حتى قال : « كثيرة هي أحزان الصديقين ، ومن جميعها ينجيهم الرب . يحفظ الرب جميع عظامهم ، وواحدة منها لا تنكسر » (مز ٨٣) .

خبرات الإنسان مع الله ، تشجعه في وقت الضيق . وهنا
داود يتذكر خبراته ...

« بصوتى إلى الرب صرخت فاستجاب لى » . وعبرة
« صرخت » تدل على عمق الصلاة وعمق الحاجة ، وعمق الشدة
التي هو فيها . ومزامير داود مملوءة بصراخه إلى الرب . ويمكن أن
تتبعوا كلمة « صرخت » في باقى المزامير . نجد لها مثيلاً في صلاة
يونان وهو فى بطن الحوت ... كان ولاشك فى شدة يناسبها
الصراخ . فقال للرب : « صرخت من جوف الهاوية ، فسمعت
صوتى » (يون ٢ : ٢) . صرخ والرب إستجاب « وأمر الرب
الحوت فقذف يونان إلى البر » (يون ٢ : ١٠) .

الإنسان يرفع صلواته إلى أقداى الله ...

لذلك يقول هنا : « استجاب لى من جبل قدسه » . ويقول
فى (مز ١٩ « ٢٠ ») « الآن علمت أن الرب خلص مسيحه ...
واستجاب له من سماء قدسه » . لذلك من المفروض أن تكون
الطلبات مقدسة ، أو طلبات على الأقل تتفق مع مشيئة الله ...

يستطرد داود فى ذكر خبراته مع الله فىقول :

• أَنَا اضْطَجِعْتُ وَنَمْتُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَيْتُ :

عجيب أن داود يستطيع أن يضطجع وينام ، مع وجود كثيرين يحزنونه ، وربوات من الجميع محيطين به . الوضع العادي أن يطير النوم من عينيه ، وسط هذه الأحزان والتهديدات الخارجية ... انظروا ماذا قيل عن داريوس الملك ، حينما القى دانيال في جب الأسود ... يقول الوحي الإلهي عنه : « حينئذ مضى الملك إلى قصره ، وبات صائماً ... وطار عنه نومه » (دا ٦ : ١٨) .

ولكن على الرغم من الضيقات ، ينام الإنسان الذي يكون قلبه مملوءاً بالإيمان وبالسلام ..

بمثل هذا الإيمان وهذا السلام ، نام بطرس الرسول في السجن محروساً بأربعة أرباع من العسكر ، وقد نوى الملك هيرودس أن يسلمه بعد الفصح إلى اليهود (بعد أيام) ليقتلوه (أع ١٢ : ٤ ، ٣) . ولم ينم نوماً قلقاً ، وإنما نوماً ثقيلاً ، لدرجة أن الملاك

الذى جاء لإنقاذه، ضربه فى جنبه لإيقاظه (أع ١٢ : ٧) ...
وهكذا اضطجع داود ونام ...

الضيقات كانت خارجة ، تضغط من الخارج ، ولم
تدخل إلى داخل نفسه فتقلقه وتمنع عنه النوم ..

ولذلك إستطاع أن ينام ، ليس نوم الغفلة ، ولا نوم الموت ،
ولكن نوم الثقة . نام فى أحضان الله الحنون . أبشالوم ومعه الجيش
يطارده ، وهو فى البرية ينام . تاركاً الرب يستر ويحفظ ...

كان داود فى نومه ، أكثر إطمئناناً من أبشالوم المعتزل
بقوته ... لذلك قال : « أنت اضطجعت ونمت » ..
ولكننى حينما أصل فى تأملاتى معكم إلى هذه الآية
بالذات ، أتذكر أننا نذكرها فى ليلة الجمعة الكبيرة فى وقت
(الدفنة) ، حينما نتذكر فى الطقس دفن السيد المسيح ، ونقرأ
المزامير ...

نصلى المزمور إلى عبارة « اضطجعت ونمت » التى تنبأ
عن موت المسيح . ثم نصمت ولا نكمل المزمور . وفى صلاة
ليلة القيامة ، نكمل ونقول : « ثم إستيقظت » تشير إلى قيامة
السيد المسيح ...

فالنوم يرمز أحياناً إلى الموت . وحينما تكلم الرب عن موت
لعازر، قال لتلاميذه القديسين : « لعازر حبيبنا قد نام ، لكنى
أذهب لأوقظه » (يوحنا : ١١ : ١١) وكان يتكلم بالرمز عن موت
لعازر. ويقصد بكلمة « أذهب لأوقظه » أى أذهب لأقيمه من
الأموات . وهنا نفس المعنى فى عبارة : « أنا اضطجعت ونمت ثم
استيقظت » ... بالنسبة إلى السيد المسيح . وهذا التفسير يدلنا على
أن هناك ثلاث إتجاهات فى تفسير هذا المزمور وفى تأملاته :

ثلاث تفسير لهذا المزمور :

١ - الإتجاه الأول فى التفسير ، خاص بداود الملك ومتاعبه
وأحزانه . ومثاله كل ما قلناه فى الصفحات السابقة .

٢ - الإتجاه الثانى فى التفسير ، خاص بالسيد المسيح له المجد .
ومثاله ما قلنا فى تطبيق الآية : « أنا اضطجعت ونمت ثم
استيقظت » على موت السيد المسيح وقيامته . وهو منهج واضح فى
طقس الجمعة الكبيرة . وهو أيضاً المنهج الذى يستخدمه القديس
أوغسطينوس فى تفسير كثير من المزامير .

٣ - الإتجاه الثالث في تفسير هذا المزمور ، هو إتجاه روحى ،
ينطبق على كل إنسان في حياته الخاصة . وسنعرض له إن شاء الله
في صفحات مقبلة من هذا الكتاب ...

التفسير الخاص بالسيد المسيح:

١ - نبدأ من أول المزمور . ونرى السيد يقول للآب : « يارب ،
كيف كثر الذين يحزنوننى كثيرون قاموا علىّ؟! » كيف أمكن
أن يجتمع ضدى كل هؤلاء في كثرتهم : الكتبة والفريسيين
والصدوقيين والشيوخ والكهنة ورؤساء الكهنة ، وهذه الجموع من
الشعب الذى أحسنت إليه ..! حقاً إنه أمر يدعو إلى العجب .

٢ - وعجيب أيضاً أن يظنوا أننى أريد الخلاص من الصليب
(مت ٢٧ : ٤٢) ! ويقولون عنى فى ذلك : « ليس له خلاص
بإلهه » ! « اتركه لنرى هل يأتى إيليا ليخلصه » (مت ٢٧ :
٤٩) . وكانوا يستهزئون به قائلين : « إن كنت أنت المسيح
فخلص نفسك » (لوقا ٢٣ : ٣٩) . وكانوا يرون أن موته هو نهايته ،
وأنه لن يكون له خلاص بعد ذلك .

٣ - أما أنت يارب فعونى ، ناصرى على كل هؤلاء ، مجدى ورافع رأسى . فى نفس عملية الصليب مجد لابن ، وفى قيامته مجد قال حينما إقترب إلى الجلجثة « أيها الآب قد أتت الساعة . مجد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً » (يو ١٧ : ١) كان يرى مجده فى صليبه : مجد الحب والبذل ، ومجد القضاء على دولة الشيطان ، وشراء الخليقة بالدم الكريم . مجد الملكوت الذى سيؤسس به بدمه . مجد الفداء والكفارة . المجد الذى سيرفع رأسه كمخلص للعالم كله بموته . لأنه بموته سيدوس الموت ، ويدوس إبليس الذى أدخل الموت إلى العالم . هذا هو المجد أن الابن سحق رأس الحية على صليبه ومجده فى القيامة أمر واضح للكل .

٤ - « أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت » . أنا لم أمت الموت الذى يظنونه النهاية .. فروحى خالدة لا تموت . وأنا بلاهوتى حتى لا أموت . إنما هذا الموت أشبه بنوم أستيقظت منه بالقيامة . حقاً انفصلت فيه الروح عن الجسد ، لتوفى العدل الإلهى ، ثم عادت إلى جسدها بقيامة مجيدة داست بها الموت إلى الأبد ..

٥ - لذلك « لا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى القائمى على » الصارخين فى جهالة قائلين : « اصلبه اصلبه » .

غالبية هؤلاء سيرجعون إلى تائبين لينضموا إلى الإيمان ... وليس لأحد من هؤلاء سلطان على . لي نفس أنا أضعها من ذاتي . « أضع نفسي لأخذها أيضاً . ليس أحد يأخذها مني . لي سلطان أن أضعها . ولي سلطان أن آخذها أيضاً » (يو ١٠ : ١٧ ، ١٨) ...

التأمل الروحي لأى إنسان :

١ - إما أن يطبق المصلى هذه الآيات على نفسه في مشاكله وأحزانه وكثرة الأعداء المحيطين به .

٢ - وإما أن يأخذها بطريقة روحية ، فينادى الرب طالباً عوناً في حروبه الروحية قائلاً : كيف يارب كثر الذين يحزنوننى . كثيرون قاموا علىّ : حروب من الأفكار ، وحروب من الحواس ، وحروب من مشاعر القلب وشهوته ، وحروب من الشياطين ، وعثرات من الناس ، وسقطات من اللسان ...

٣ - وكل هذه الحروب في ضغطاتها ، تشمت بسقطاتى ، وتحاربنى باليأس قائلة : « ليس له خلاص بإلهه » ... كما لو كان الرب قد تركنى ، ونعمته قد تخلت عنى ، وأسلمنى للهلاك ...

٤ - ولكنك يارب بقلبك الحنون ، لن تتركنى فى خطاياى .
أنت ترس لى . أنت ناصرى . لا بد ستقيمنى من سقطتى ، وتردنى
إلى رتبتى الأولى ، وتغسلنى فأبيض أكثر من الثلج ، وتمنحنى
بهجة خلاصك وتعود فترفع رأسى ، وترجعنى إلى صورتى الأولى ،
فأتمجد بك .

٥ - هكذا فعلت مع الخاطئة يهوذا فى سفر حزقيال النبى .
قلت : « رأيتك مدوسة بدمك ... فبسطت ذيلى عليك وستر
عورتك ... ودخلت معك فى عهد - يقول السيد الرب - فصرت لى .
فحممتك بالماء (أى فى المعمودية) ومسحت بالزيت (أى بمسحة
الميرون المقدسة) ... وألبستك مطرزة ، وكسوتك بزاً (أى تبررات
القديسين) ... ووضعت تاج جمال على رأسك ... وجعلت جداً
جداً ، فصلحت لمملكة . وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك ، لأنه
كان كاملاً بيهاى الذى جعلته عليك » (حز ١٦ : ٦ - ١٤) .

٦ - وهكذا يجد الخاطيء أن الله يرفع رأسه ، بل يضع
تاج جمال على رأسه .

وذلك بأنه يطهره وينقيه من كل نجاساته ، كما وعد فى سفر
حزقيال أيضاً قائلاً : « وأرش عليكم ماء طاهراً فتطهرون من كل

نجاستكم ... أعطيكم قلباً جديداً ، وأجعل روحاً جديدة في داخلكم . وانزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم . وأجعل روحى في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضى .. « (حز ٣٦ : ٢٥-٢٧) ... كل هذا يارب ..

٧ - حقاً أنت يارب ناصرى . مجدى ورافع رأسى . وقد كذب الذين قالوا عنى : ليس له خلاص بإلهه .

إن كنت قد سقطت ، فأنا بمعونتك سأتوب ... لقد اختبرت هذا في حياتى ، لأنى مراراً كثيرة « اضطجعت ونمت ثم استقيظت » لأنك أنت يارب ناصرى على كل ضعفاتى ... ما أكثر ما أصابنى الخمول فى روحياتى ، ثم تأتى بعده يقظة روحية ، أسمعها فيها يقول الرسول :

٨ - « استيقظ أيها النائم ، وقام من الأموات ، فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) .

٩ - أشكر الله أننى أستيقظت . وكان النوم شيئاً عارضاً فى حياتى . ولم تتركنى النعمة الحافظة . لذلك مهما حاربنى العدو بشتى الحروب الروحية ، « فلا أخاف من ربوات الجموع المحيطين

بى ، القائمىن علىّ » . الله أقوى منهم جميعاً . يكفينى أن أصرخ
إلى الله ، كما صرخت من قبل مراراً ، « فاستجاب لى من جبل
قدسه » .

١٠ - وهكذا يستمر المزمور بالنسبة إلى الإنسان العادى ، سواء
من جهة ضيقاته وأعدائه ، أو من جهة خطاياها .

١١ - ويمكن أن هذا المزمور يُقال على لسان الكنيسة
باعتبارها جماعة المؤمنين وجسد المسيح .

وهكذا يتسع التأمل فى المزمور ، ولا يقف عند إتجاه معين .
والقديس أوغسطينوس بعد أن ركز على السيد المسيح فى بادىء
تفسيره ، عاد وطبقه على الكنيسة ، ثم على الفرد العادى ...

داود هنا كرمز للمسيح :

١ - داود خانة أبشالوم . والسيد المسيح خانة يهوذا
والشعب الذى هتف أصلبه أصلبه ...

٢ - وداود صرخ قائلاً : « كثيرون قاموا علىّ » . والسيد

المسيح كذلك قام عليه كثيرون .

٣ - وداود لم يكن ضد أبشالوم الذى خانته ، بل قال لقادة جيشه : « ترفقوا بالفتى أبشالوم » (٢ صم ١٨ : ٥) . ولما مات أبشالوم حزن داود عليه ، وبكى وهو يقول : « يا ابنى أبشالوم ، ياليتنى مت عوضاً عنك يا أبشالوم ابنى يا ابنى » (٢ صم ١٨ : ٢٣) .

وكلمة أبشالوم معناها سلام أبيه - مكونة من مقطعين أب ، شالوم . ذلك لأن أبشالوم وإن كان ضد أبيه ، إلا أن أباه لم يكن ضده ، بل كان فى سلام معه ، على الرغم من ثورة هذا الابن عليه .

والسيد المسيح مات عوضاً عن الناس فعلاً ، وطلب المغفرة لصالبيه قائلاً : « يا أبتاه إغفر لهم لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون » (لو ٢٣ : ٣٤) . وهكذا على الرغم من أن الناس كانوا ضد المسيح ، إلا أنه كان يحمل فى قلبه سلاماً لهم . وقد أنذر يهوذا مرات عديدة ، وأراه بغتة عمله ...

٤ - بدا داود فى أول هذه الثورة عليه ضعيفاً ، يعجب من كثرة

الذين يحزنونه . ولكنه في آخر الأمر إنتصر ، وخلصه الله من جميع أعدائه . بل بعض أعدائه رجعوا إليه يقدمون الولاء . وهكذا كان المسيح يبدو في نظر الناس ضعيفاً على الصليب ، يهزأون به قائلين : « خلّص آخرين . وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها » (مر ١٥ : ٣١) . ولكنه انتصر أخيراً ، بالقيامة . وآمن به كثير ممن إشتراكوا في صلبه ... وخلص العالم كله ...

نتابع تأملاتنا في هذا المزمور . يقول داود :

فلا أخاف .

« فلا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بي ، القائمين عليّ » .

أولاد الله لا يخافون مطلقاً ، مهما أحاط بهم العدو . شعورهم بوجود الله معهم يطرح عنهم كل خوف ...

والله نفسه يقول لأولاده « لا تخافوا » ... لقد قال لأبينا إبراهيم : « لا تخف يا إبرام ، أنا ترس لك » (تك ١٥ : ١) .

وقال ليشوع بن نون : « تشدد وتشجع . لا ترهب ولا ترتعب ، لأن الرب معك حيثما تذهب . لا يقف إنسان في وجهك كل أيام حياتك » (يش ١ : ٩ ، ٥) . وقال لبولس الرسول : « لا تخف ، بل تكلم ولا تسكت . لأنى أنا معك ، ولا يقع بك أحد ليؤذيك » (أع ١٨ : ٩ ، ١٠) ... وما أكثر ما قال الله لأولاده : « لا تخافوا » إنه يقول لتلاميذه : « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد... » (مت ١٠ : ٢٨) . ويطمئنهم قائلاً : « أما أنتم فجميع شعور رؤوسكم محصاة » ...

إنما يخاف الذين لا يشعرون بوجود الله في حياتهم ، أو الذين يشعرون أنهم انفصلوا عن الله بخطاياهم ، فانفصلوا بالتالى عن المعونة والقوة الحافظة .

أما داود فكان يدرك تماماً مقدار الصلة بينه وبين الله ، لذلك لم يخف بل إنه فى وسط الضيقة ، وقيام جيوش أبشالوم عليه ، يضطجع داود وينام مطمئناً ، لأنه لا يخاف . ينام وهو واثق أن الله ساهر على سلامته . وتغنى له الملائكة قائلة : « لا ينعس حافظك . لا ينعس ولا ينام ... الرب يحفظك من كل سوء . الرب يحفظ نفسك . الرب يحفظ دخولك وخروجك » (مز ١٢١) . لذلك

فإن داود ينام وهو غير خائف ، تاركاً لله الساهر أن يحفظ سلامته .
بل أنه يقول :

« إن سرت في وادي ظل الموت ، لا أخاف شراً ، لأنك
أنت معي » (مز ٢٣) .

وهكذا لم يخف دانيال حينما القوه في جب الأسود ، ولم
يخف الثلاثة فتية حينما القوهم في أتون النار ، ولم يخف الشهداء
وهم يقادون إلى الموت ، أو وهم يحتملون كل صنوف التعذيب ...
ولم يخف داود من حركة أبشالوم ضده . بل هو يقول : « الرب
نورى وخلصى ممن أخاف؟! الرب عاضد حياتى ، ممن
أرتعب؟! » (مز ٢٧ : ١) . وتساءله : لماذا أئبها النبى العظيم؟
فيقول لك : بالخبرة ... بالخبرة ماذا؟ يقول بالخبرة « عند اقتراب
الأشرار منى لياكلوا لحمى ، مضايقتى وأعدائى عشروا وسقطوا »
ولذلك : « إن نزل على جيش ، فلن يخاف قلبى . وإن قام على
قتال ، ففى ذاك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ٢ ، ٣) .

« هم عشروا وسقطوا ، ونحن قمنا واستقمنا »
(مز ٢٠ : ٨) .

إنها خبرة الحياة بالنسبة إلى داود . خبرته في عمل الله معه ،
وفي عمل الله من أجله . إنها خبرته في صلواته المستجابة ، وفي
مراحم الله التي لا تتخلى عنه مطلقاً . ليعمل أعداؤه ما يشاءون ،
ولتلتف حوله ربوات الجموع المحيطين به القائمين عليه . يكفي
لإبادتهم أن يقول :

فيم يارب خلصني يا الهي .

لم يكن داود خائفاً ، لكنه كان مقدراً خطورة الموقف تماماً .
لذلك « قال لجميع عبيده الذين معه في أورشليم : قوموا بنا
نهرب ، لأنه ليست لنا نجاة من وجه أبشالوم . إسرعوا لئلا يبادر
فيدركنا ... » (٢ صم ١٥ : ١٤) . قال ذلك لأن الخطر كان محدقاً
به وبهم « وكان الشعب لايزال يتزايد مع أبشالوم »
(٢ صم ١٥ : ١٢) .

ولكن الخطورة كانت فكراً في عقله ، ولم تكن خوفاً في
قلبه .

لقد قدر خطورة الموقف ، ولكنه لم ينزعج لها ، وإنما رأى علاج الأمر بالالتجاء إلى الله ، فهو القادر أن ينجى . لذلك قال : « قم يارب خلصنى يا إلهى » ...

لم يترك الأخطار تنفرد به ، بل وضع الله بينه وبينها . ولم يواجه تلك المتاعب بنفسه ، إنما القاها على الله . هو الذى يواجهها ويخلصه منها .

جميل أن يشعر الإنسان ، أنه ليس هو الذى يخلص نفسه ، إنما الله هو الذى يخلصه . وهذا المعنى واضح باستمرار فى مزامير داود ، حيث يقول مثلاً : « خلصنى يارب ، فإن البار قد فتنى ، وقلت الأمانة من بنى البشر » (مز ١١ : ١١) « اللهم باسمك خلصنى ، وبقوتك احكم لى » (مز ٥٤ : ١) . « الآن عرفت أن الرب قد خلص مسيحه » (مز ٢٠ : ٦) . « إحفظنى يا الله لأنى عليك توكلت » (مز ١٦ : ١) « أنت إله خلاصى . إياك انتظرت اليوم كله » (مز ٢٥ : ٥) « الرب نورى وخلصى ، ممن أخاف ؟! » (مز ٢٧ : ١) . ويعوزنا الوقت إن أتينا بكل الأمثلة .

وكما يقول هنا : « قم يارب خلصنى » يقول أيضاً فى آخر المزمور : « للرب الخلاص » (مز ٣ : ٨) .

لقد إختبر داود أن الخلاص هو عمل الرب ، وليس هو
إعتماداً على ذراع بشرى . جرّب هذا الأمر في قتاله مع جليات ،
حيث قال له : « اليوم الرب يجبسك في يدي » (١ صم ١٧ :
٤٦) . وكما قال في تلك المناسبة : « الحرب للرب . وهو يدفعكم
ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٧) ، فإنه يقول هنا أن الخلاص للرب .
حقاً إن الخلاص للرب . « وليس للرب مانع عن أن يخلص
بالكثير أو بالقليل » (١ صم ١٤ : ٦) .

وهنا نجد داود يقول في المزمور : قم يارب .

وتتردد هذه العبارة في مزاميره وفي الكتاب المقدس . ونقتبس
منها في القداس الإلهي : « قم يارب وليتبدد جميع أعدائك .
وليهرب من قدام وجهك كل مبغضى اسمك القدوس » وهي
عبارة مأخوذة من (عد ١٠ : ٣٥) .

ويجيب الرب قائلاً : « الآن أقوم - يقول الرب - أصنع
الخلاص علانية » (مز ١١) . ويعنى داود قائلاً : « يقوم الله
يتبدد أعداؤه . ويهرب مبغضوه من أمام وجهه . كما يذرى
الدخان تذريهم » (مز ٦٨ : ١) .

ليس هذا الأمر جديداً عليك يارب . فمراحمك واسعة كل يوم . وخلصك نراه في كل لحظة .

لَأَنَّكَ ضَرَبْتَ كُلَّ مَنْ يُعَادِينِنِي :

« لأنك ضربت كل مَنْ يُعَادِينِنِي باطلاً (أى بلا سبب) .
أسنان الخطاة سحقتها » .

ما أكثر الذين كانوا يعادون داود باطلاً ، بلا سبب ، حتى
أنه قال مرة :

« أكثر من شعر رأسي ، الذين يعادونني بلا سبب »
(مز ٦٩ : ٤) .

إنه لم يقترف ذنباً حتى عاداه شاوول الملك . بل كان سبب
عداوة الملك لداود أن داود كان يفلح (ينجح) أكثر من الجميع
(١ صم ١٨ : ٢٩ ، ٣٠) .

وأبشالوم عاداه أيضاً بلا سبب ، إذ لم يسء إليه داود في

شئ ، بل أن شهوة أبشالوم في العظمة والحكم هي التي أدخلته في حرب مع أبيه ...

وشمعى بن جيرا ، ماذا فعله داود ضده ، وأخيتوفل أيضاً ... لا شئ إلا أن الخيانة الكامنة في قلب كل هؤلاء ... وكذلك يهوذا بالنسبة إلى السيد المسيح : إختاره الرب ضمن تلاميذه ، وأعطاه الصندوق ، وأرسله للخدمة ، ومنحه القدرة على عمل المعجزات . وحتى وقت الأكل كان يجلس في القرب منه ، يغمس لقمته في نفس صحفته (مت ٢٦ : ٢٣) ولكن الخيانة الكامنة في قلب يهوذا هي التي دفعته إلى الخطية ...

هؤلاء الذين يعادون بلا سبب ، هم ظالمون . والرب يأخذ حق المظلومين منهم . إنه هو الذى قال : « لى النقمة ، أنا أجازى ، يقول الرب » (رو ١٢ : ١٩) . لذلك ضرب الله فرعون ضربات كثيرة ، لأنه كان يسخر الشعب ويضطهدهم بلا سبب . وضرب الرب أهل سادوم بالعمى لما حاولوا الاعتداء على ضيفى لوط البار (تك ١٩ : ١١) . كذلك ضرب الرب مضطهدى الكنيسة ، البعض بالجنون ، والبعض بالموت ، لأنهم اضطهدوا الكنيسة بلا سبب ... وضرب الرب أريوس فمات لأنه أيضاً عادى

الكنيسة بلا سبب ...

وهكذا داود يتذكر كل ما مرّ عليه من أحداث ، وكيف ضرب الرب شاوول ، وأبنير، وضرب أمامه عماليق لما غزا صقلع وأحرقها بالنار ظلماً (١ صم ٣٠) ... وفي ذلك غنى داود للرب قائلاً : « لأنك ضربت كل مَنْ يعادينني باطلاً . أسنان الخطاة سحقتها » (مز ٣) .

• أسنان الخطاة سحقتها •

الخطاة مثل وحوش مفترسة ، تريد أن تلتهم أولاد الله . لذلك شبههم الرب مرة بذئاب خاطفة (مت ٧ : ١٥) . وقال عنهم القديس بولس الرسول : « ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية » (أع ٢٠ : ٢٩) . وضرب مثلاً لذلك فقال : « حاربت وحوشاً في أفسس » (١ كو ١٥ : ٣٢) . وقال القديس بطرس الرسول : « إصحو واسهروا ، لأن إبليس خصمكم مثل أسد زائر ، يجول ملتصقاً مَنْ يبتلعه هو » (١ بط ٥ : ٨) . لهذا كان لابد من معونة إلهية تحمي من أسنان هذه الوحوش .

قال داود في مزمور سابق : « مبارك الرب الذى لم
يسلمنا فريسة لأسنانهم » (مز ١٢٤ : ٦) . وهنا يقول للرب :
« أسنان الخطاة سحقتها » (مز ٣) .

إن تخلصنا من أسنان الخطاة ، فلا نكون فريسة لها ، هو
خلاص مبدئى ، مجرد مرحلة من النجاة ، ولا تزال الأسنان الفتاكة
باقية . أما هنا فيحدثنا النبى المختبر عن عمل من أعمال الله أكثر
فاعلية وخلصاً وهو : « أسنان الخطاة سحقتها » أى لم تبق لهم
قوة على الإفتراس بعد . إنه خلاص نهائى بتحطيم العدو تماماً ...
مبارك اسم الرب حقاً ...

داود يقول هذا بروح الإيمان ، فى نفس الوقت الذى يقول
فيه : « قم يارب ، خلصنى يا إلهى » ... إنه يطلب الخلاص ،
ويراه بعين الإيمان .

الخلاص هو قصة علاقته مع الله طول حياته . وكأنه يردد مع
زكريا الكاهن قوله : « خلاص من أعدائنا ومن جميع مبغضينا »
(لو ١ : ٧١) . خلاص يصنعه الرب وليس نحن . خلاص من
جليات الغريب الجنس ، وخلص من شاول الحاقد ، من سهامه

ومن مؤامراته ، وخلص من اختيول الخائن ، ومن أبشالوم الابن
العاق ...

قم يارب ، اصنع الخلاص علانية ، لأنه للرب الخلاص .
هذا موضوع خاص بالرب ، نعتمد عليه فيه إعتماً كلياً ،
متذكرين كل إحساناته السابقة إلينا .

يقول هذا أيضاً كل إنسان في ضيقة ، أو في خطية
منتصرة عليه .

أنا يارب بذلت كل جهدي ، ومازلت أسقط ، من ربوات
الشهوات والعثرات المحيطة بي القائمة عليّ ، التي كادت تصبح
عادات ثابتة ، أو تدخل في طبيعتي فتفسدها . ولكني أتكل عليك
أنت ، لأنك تستطيع أن تسحق أسنان الشياطين الخطاة الذين
يعادونني باطلاً ، وتخلصني منهم ، فأصبح مع داود : « للرب
الخلاص » .

وتقول الكنيسة هذا أيضاً في كل متاعبها .

قم يارب خلصني يا إلهي . لأنك ضربت كل من يعادينني

باطلاً . للرب الخلاص وعلى شعبك بركتك ...

على شعبك بركتك :

أنت تخلص وتبارك . تخلصنا من السلبات والضيقات .
وتباركنا بكل بركة روحية من فوق ... هذا هو العنصر الإيجابي في
الخلاص .

الله في الخلاص الذى قدمه ، لم يخلصنا فقط من الخطية
الجدية ومن الخطايا الفعلية فحسب ، إنما منحنا أيضاً بركات العهد
الجديد : البنوة ، والميلاد الثانى ، ومسحة الروح القدس وكل
الأسرار المقدسة . لكى نهتف له مع داود قائلين : « وعلى شعبك
بركتك » ...

وبركة الله على شعبه ، وليس على الغرباء ...

هؤلاء الذين يدخلون فى خلاص الرب ، ويقولون للرب
الخلاص ... الذين يصيرون أغصان فى الكرمة الحقيقية ، تسرى
فيهم عصارتها ، وتظهر فيهم ثمارها ، ويكونون أعضاء حية فيها
... هؤلاء هم الذين يتمتعون ببركة الرب فى حياتهم وفى خدمتهم

وفي كل أعمالهم . ويقولون له : « للرب الخلاص . وعلى شعبك
بركتك » .

هذه البركة أرادها الله للعالم منذ البدء ...

فبارك الله آدم وحواء (تك ١ : ٢٨) أعطاهما بركة الثمر
والكثرة والسلطة ... وبارك الله نوحاً وبنيه (تك ٩ : ١) حينما
جدد وجه الأرض مرة أخرى ، وأعطاهم نفس بركة آدم وحواء .
وبارك الله أبانا إبراهيم ، وعظم إسمه ، وجعله بركة ، بحيث
يتبارك مباركوه ، وفيه تتبارك جميع قبائل الأرض (تك ١٢ :
٢ ، ٣) . وكانت هذه البركات تتلى على الشعب كله من فوق
جبل جرزيم (تث ٢٧ : ١٢) .

وصارت البركة هي أقصى ما يطلبه إنسان ، وهي تحمل
داخلها كل شيء ...

وقد قال سليمان الحكيم في ذلك : « بركة الرب هي
تغنى ... » (أم ١٠ : ٢٢) . أما الذى تخلو حياته من البركة ،
تصبح حياته فارغة تماماً ، ويفشل فى كل شيء .

لذلك كانت نهاية هذا المزمور بالبركة ، تدل على أن داود
وصل إلى عمق ما يتمناه ..

هكذا مزامير داود :



ما أعجب داود النبي في مزاميره ! وما أعجب مزاميره :
كيف تبدأ وكيف تنتهي !

يبدأ هذا المزمور بالشكوى والعتاب : الشكوى من كثرة الذين
يخزنونه ، القائمين عليه ، الذين يدفعونه إلى اليأس بقولهم : « ليس
له خلاص بإلهه ... » وينتهي بالبركة وخلص الرب ، وبأن
الرب ناصره ومخلصه من كل أعدائه .

وتكون نقطة التحول في المزمور ، من الحزن إلى الخلاص ،
هي قول المرنم : « بصوتى إلى الرب صرخت ، فاستجاب لى
من جبل قدسه » .

يتدخل الرب في المشكلة ، تنتهي المشكلة ، ويتغير مجرى
الأمر ، ولا يخاف المصلى من ربوات الجميع المحيطين به القائمين
عليه ... حقاً إن أصعب ما يتعب الإنسان ، أنه يقف وحده في
مشاكله ، دون أن يدعو الله للدخول فيها ، ولا نقاذه منها ...

مزامير داود تعطينا عزاء عميقاً في كل متاعبنا ، روحية
كانت أو إجتماعية ...

خذوا مثلاً لذلك المزمور السادس « يارب لا تبكتني
بغضبك » ... يبدأ بأنين داود ، وبقوله : « إن عظامي قد
إضطربت ، ونفسي قد إنزعجت جداً » ... ثم تأتي نقطة التحول
إذ يقول في نهاية المزمور إذ يقول : « إبعدوا عني يا جميع فاعلي
الإثم . لأن الرب قد سمع صوت بكائي . الرب سمع صوت
تضرعي . الرب لصلاتي قبل » .

ليتنا نرتل المزامير بنفس الروح ، ونقول للرب مع داود :
« حوّلت نوحى إلى فرح لى ... أعظمك يارب لأنك
إحتضنتنى » (مز ٣٠ : ١١ ، ١٠) .



فصل الكتاب

قدمنا لك من قبل مزمور
يستجيب لك الرب في يوم
شدتك (مز ١٩ "٢٠") في
كتاب . وهو أول مزمور في
الساعة الثالثة .

واليوم نقدم لك كتاباً
آخر عن مزمور من صلاة
باكر، هو: «يارب لماذا
كثرت الذين يحزنوننى»
(مز ٣) .

إنه مزمور للتعزية في
وقت الضيق، وصرخة إلى
الله للتدخل .

وأرجو أن نوفق في تقديم
تأملات حول مزامير أخرى
تشمل كل صلوات
الأجبية .

شوده الثالث